

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ۝٢٠﴾

[البروج: 19 - 20]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

الانتقال من
أخبار السابقين
للاعتبار إلى
واقع المعاصرين
للارتداد

لما ذكرت الآيات السابقة حديث الجنود وذكرت نموذجين منهما لأهل الكفر والضلال من الأمم السابقة، وأضرب في هذه الآية عن مماثلة هؤلاء الكفار الموجودين في عصره صلى الله عليه وآله وسلم إضراباً انتقالياً لِمَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ فِي الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَأَنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِهِمْ كَمَا أَحَاطَ بِالسَّابِقِينَ، بغرض التهديد وشديد الوعيد، فهو انتقال من ذكر أخبار السابقين للاعتبار إلى ذكر واقع المعاصرين للارتداد.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مُحِيطٌ﴾: أصل (حوط) يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ يُطِيفُ بِالشَّيْءِ⁽¹⁾، ومحيطٌ: عالمٌ بهم، وقادرٌ عليهم، وهم لا يُعْجِزُونَهُ وَلَا يَمُوتُونَهُ، والمقصود في الآية الإحاطة بالمكذِّبين، فلا يُفْلِتُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

❖ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

الإضراب عن
الخبر السابق
للتحذير مما هو
قادم

تُضْرَبُ الْآيَتَانِ عَنِ السَّابِقِ ذِكْرُهُ مِنْ خَبَرِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ إِلَى بَيَانِ أَنَّ كُفَّارَ الْعَرَبِ أَشَدُّ عِرَاقَةً فِي الْكُفْرِ وَالتَّمَرُّدِ وَالظُّلْمِ وَالتَّكْذِيبِ لآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، مِمَّنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، فَهُمْ مُنْغَمِسُونَ فِي ذَلِكَ، وَمُسْتَقِرُّونَ فِيهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُحِيطٌ بِهِمْ إِحَاطَةً تَامَّةً، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ شَيْءٌ، وَلَنْ يُفْلِتُوا مِنْ عِقَابِهِ بِأَيَّةِ حِيلَةٍ مِنَ الْحِيلِ، فَهُمْ تَحْتَ قَبْضَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَسَيُنْزَلُ بِهِمْ بِأَسْهٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَرِيدُهُ⁽²⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حوط).

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 348 / 15.

❖ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلَاغِيُّ:

نوع الإضراب ودلالته:

الإضراب في قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ انتقالي⁽¹⁾ من بيان واقع الأمم السابقة إلى بيان أن حال كُفَّار العرب أَعْجَب من حال فرعون وشمود، فَهُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ كُفْرًا وَضَلَالًا وَعِنَادًا؛ "لأنَّهم سَمِعُوا قِصَّتَهُمْ، ورَأَوْا آثارَ هَلَاكِهِمْ، وكَذَّبُوا أَشَدَّ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ"⁽²⁾.

دلالة التَّعْبِيرِ بالمَوْصُولِ:

المقصود بالموصول في قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ إمَّا الْجِنْسُ؛ أي: جِنْسُ الْكُفَّارِ الْمُتَنَمِّسِينَ فِي التَّكْذِيبِ الَّذِينَ لَا يَنْتَهُونَ عَنِ التَّكْذِيبِ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ فَهُوَ فِي حُكْمِ الْمُسْتَتَنَّى، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ الْعَهْدَ، وَهُمْ الَّذِينَ يَمُوتُونَ عَلَى الْكُفْرِ، فَلَا اسْتِثْنَاءَ⁽³⁾.

دلالة التَّعْبِيرِ بِحَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ:

دلَّ التَّعْبِيرُ بِحَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ عَلَى أَنَّ كُفَّارَ قَرِيشٍ مُسْتَمِرُّونَ عَلَى التَّكْذِيبِ، مُنْغَمِسُونَ فِيهِ انْغِمَاسَ الْمَظْرُوفِ فِي الظَّرْفِ، فَجُعِلَ تَمَكُّنُ التَّكْذِيبِ مِنْ نَفْسِهِمْ كَتَمَكُّنِ الظَّرْفِ بِالْمَظْرُوفِ، أَوْ الْبَحْرِ بِالْغَرِيقِ⁽⁴⁾، وَفِي حَرْفِ ﴿فِي﴾ اسْتِعَارَةٌ تَبْعِيَّةٌ⁽⁵⁾، أَوْ فِي الْجُمْلَةِ مَجَازٌ مُرْسَلٌ عَلاَقَتُهُ الْحَالِيَّةُ؛ "لَاَنَّ التَّكْذِيبَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي، وَلَا يَحِلُّ الْإِنْسَانُ فِيهِ، وَإِنَّمَا يَحِلُّ فِي مَكَانِهِ فَاسْتَعْمَالَ التَّكْذِيبِ فِي مَكَانِهِ مَجَازٌ أُطْلِقَ فِيهِ الْحَالُ، وَأُرِيدَ الْمَحَلُّ فَعَلَاقَتُهُ الْحَالِيَّةُ"⁽⁶⁾.

كُفَّارُ الْعَرَبِ
فَاقُوا أَقْرَانَهُمْ
مِنَ السَّابِقِينَ
عِنَادًا وَكُفْرًا

فِي الْمَوْصُولِ
تَنْوِيغٌ فِي الْمَعْنَى
بَيْنَ الْجِنْسِ
وَالْعَهْدِ

مَنْ عَرَّقَ فِي بَحْرٍ
الْمُكَذِّبِينَ فَقَدْ
اسْتَحَقَّ الدَّمَ
الْبَيْنَ

(1) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 194/20، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 141/9.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 301/5.

(3) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 194/20.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 252/30.

(5) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرازي: 344/8.

(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 436/19.

غرض تنكير لفظ «تَكْذِيبٍ»:

نُكِّر لفظ «تَكْذِيبٍ» للدلالة على التعظيم والتهويل⁽¹⁾، فتكذيبهم بالحقّ النازل من الله تعالى، ليس كتكذيبهم بالحقّ في غير الوحي، وليس كالتكذيب في شؤون الدنيا الزائفة.

عِلَّةُ حَذْفِ مُتَعَلِّقِ التَّكْذِيبِ:

حُذِفَ مُتَعَلِّقُ فعل التَّكْذِيبِ؛ لظهوره من المقام؛ إذ التَّقْدِيرُ: أَنَّهُمْ فِي تَكْذِيبِ النَّبِيِّ ﷺ، وبالوحي المنزَّل إليه، وبالْبَعْثِ⁽²⁾.

نوع الواو ودلالاتها:

الواو في قوله تعالى: «وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ» عاطفةٌ، والجملة عطفٌ على قوله: «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ»؛ أي: هم مُتَمَكِّنُونَ من التَّكْذِيبِ، والله يُسَلِّطُ عليهم عقاباً لا يُفْلِتُونَ منه.

دلالة التعبير بلفظ الجلالة:

آثر النظم الكريم التعبير بلفظ الجلالة وإظهاره في قوله تعالى: «وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ»؛ لتربية المهابة، والتأكيد على قدرته تعالى وتعظيمه، وعلى علمه بكل شيء.

دلالة التعبير بالظرفية:

عُبرَ بالظرف في قوله تعالى: «مِنْ وَرَائِهِمْ»؛ للتَّهْمِيدِ لقوله: «مُحِيطٌ»، وللدلالة على إحاطة العذاب بهم؛ إذ (الْوَرَاءُ) من الأضداد، والمُرَاد مُحِيطٌ بهم من خَلْفِهِمْ، ومن أَمَامِهِمْ، وأُكِّدَتْ تلك الإحاطة الشَّامِلَةُ بقوله: «مُحِيطٌ»، والمُرَاد التَّنْبِيهِ على أَنَّ إحاطته سبحانه بهم شاملةٌ لهم من جميع نواحيهم، ومن كلِّ اتِّجَاهَاتِهِمْ.

بلاغة مقابلة التكذيب بالتهديد:

لما ذكر سبحانه أنَّ الكافرين في تكذيبٍ، ووصفهم بالغرق في

بيان علم الله
بتكذيبهم
وإنكارهم

إحاطة علم الله
تعالى شاملة لا
يُفْلِتُ منها أحدٌ

تهديد الكافرين
للمُحِيط مناسب
لتكذيبهم
الشَّامِلِ

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8 / 344.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30 / 252.

بحر التّكذيب؛ ناسب أن يُقابل ذلك بإحاطة العذاب بهم جزاءً وفاقاً، فقوله: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْإِنْذَارِ وَالْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ⁽¹⁾، فَلَمَّا كَانَ كَذِبُهُمْ شَامِلاً؛ كَانَ إِنْذَارُهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءً وَفَاقاً. **بلاغة الاستعارة في مُفردة ﴿مُحِيطٌ﴾:**

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ تمثيلٌ لحالِ انتظارِ العذابِ إيّاهم وهم في غفلة عنه بحال مَنْ أحاط به العدو من ورائه وهو لا يعلم، حتى إذا رام الفرار والإفلات؛ وجد العدو محيطاً به، وليس المراد هنا إحاطة علمه تعالى بتكذيبهم؛ إذ ليس له كبير جدوى⁽²⁾، فهو استعارة تمثيلية لاقتداره سبحانه على الكفرة، وأنهم في قبضته وحوزته، كالمُحاط إذا أُحيط به من ورائه فُسِدَ عليه مَسْلُكُهُ، فَلَا يَجِدُ مَهْرَبًا، وَلَا يَسْتَطِيعُ تَفَلُّتًا، والمعنى: لَا تَجَزَعُ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، فَهُمْ فِي قَبْضَتِي وَأَنَا قَادِرٌ عَلَى إِهْلَاكِهِمْ وَمَعَاجِلَتِهِمْ بِالْعَذَابِ، فَلْيَسُوا يَفُوتُونِي إِذَا أَرَدْتُ الْإِنْتِقَامَ مِنْهُمْ⁽³⁾.

إحاطة الله
بالمُكذِّبين تمثيلٌ
لانتظارِ العذاب
مع الغفلة عنه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 253 / 30.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 253 / 30.

(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 116 / 31.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-643-45-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"